ذاكرة مؤرخ

عبد العزيز خلوق التمسماني

1943 - 2008

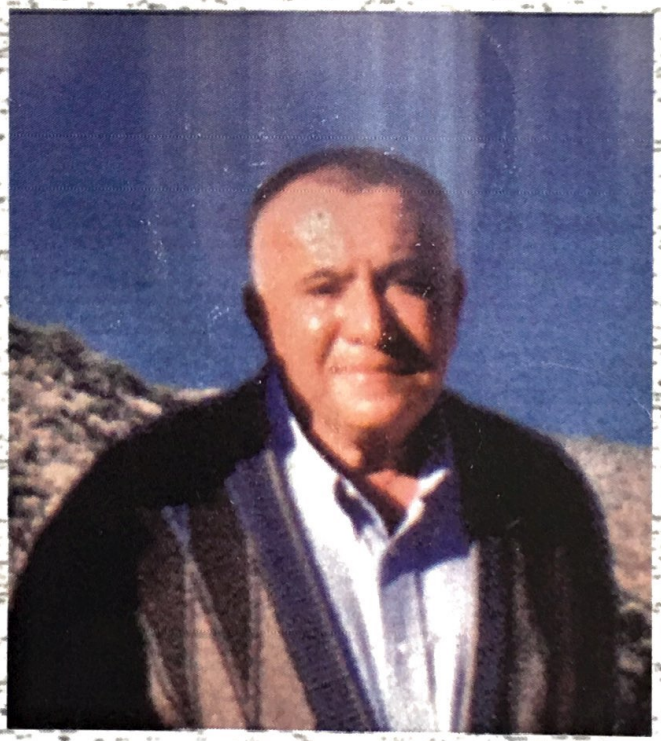

خالد سليكي - أسامة الزكاري - زبيدة الورياغلي
مصطفى الغاشي - عبد اللطيف شهبون
مصطفى المرون

منشورات المركز المتوسطي
للدراسات والأبحاث

منشورات المركز المتوسطي للدراسات والأبحاث

سلسلة: آفاق ودراسات (6)

شكر خاص لـ:

* جمعية أجيال طنجة للتنمية والثقافة
*جمعية ابن خلدون للبحث التاريخي والاجتماعي بأصيلة
* مؤسسة سليكي إخوان للنشر
*عائلة الفقيد عبد العزيز خلوق التمسماني
* د.رشيد أمحجور مندوب وزارة الثقافة بطنجة

إعداد

خالد سليكي - أسامة الزكاري

زبيدة الورياغلي

مقترح إنشاء مركز وثائقي لأرشيف دار النيابة الدبلوماسي

د.عبد العزيز خلوق التمسماني

لن نقول جديدا في الموضوع، لكننا نبذل جهودا شاقة ومضنية لتحقيق هذا الهدف للمدينة: إنشاء مركز وثائقي يعني "بدار النيابة السعيدة"، مقر النائب السلطاني في طنجة، العاصمة الدبلوماسية لمغرب القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

ستكون لهذا المركز الطنجي أهمية بالغة من حيث فحص محاضر جلسات الهيئة الدبلوماسية المستبدة الطاغية، واستنطاق مستندات "دار النيابة" الضخمة المحفوظة في دور الأرشيفات الأوربية والأمريكية التي زرناها خلال سنوات عديدة، ومعرفة جوانب مغمورة من نشاط هذه المؤسسة المخزنية الطنجية.

شهدت دار النيابة نشاطا دبلوماسيا مكثفا منذ المولى عبد الرحمن بن هشام (1822-1859) إلى المولى عبد الحفيظ (1908-1912): أبرمت فيها مجموعة من المعاهدات مع السلك الدبلوماسي الأجنبي الذي كان يقيم في طنجة ويسعى إلي خلق مواقع ارتكاز لتدويل القضية المغربية.

نتمنى أن تسنح الفرصة للباحثين المغاربة أن يتحقق هذا المشروع وتهتم جماعة طنجة الحضرية بهذا الاقتراح العلمي.

الطنجيون. العدد الثالث. صيف2002

ذاكرة مؤرخ

* خالد سليكي

لم يكن صدفة أن فكّر الإخوة في المركز المتوسطي للدراسات والأبحاث، في استضافة الباحث والمؤرخ المغربي أسامة الزكاري، حين أصدر عمله حول المورخ عبد العزيز خلوق التمسماني؛ كما لم يكن مجرد لقاء عابر ذلك اليوم الذي تم فيه الالتفات إلى أحد أهم مؤرخي المغرب المعاصر، إنما كان اعترافا بمكانة مؤرخ بارز، اختار أن يشتغل في الظل، وأن يكون مخلصا للوعي التاريخي، ومنشغلا بالبحث عن الحقيقة دون تهافت عن المناصب أو الامتيازات.

إننا بإقامتنا لهذه المناسبة التأبينية، لا نريد أن نتذكر فقيدنا المؤرخ عبد العزيز، وإنما نسعى إلى المحافظة على حضوره الدائم، وأن نحرص على إيجاد سبل ناجعة تمكننا من الحفاظ غلى إرثه الرمزي والعلمي. ذلك أن الرجل، لم يكن مجرد أستاذ، وإنما كان مؤرخا عالما شغوفا، ومسكونا بهوس التنقيب والبحث، بجرأة وشجاعة ونزاهة..

هكذا نريد أن نجعل من هذه اللحظة، مساحة لاستثمار ذاكرة، وإرث، ومسار مشع، حامل لبذور مشروع مؤسساتي، يتسم بالصرامة العلمية، والمنهجية، مع وعي عميق بالحس التاريخي الذي يفتقد إليه الوعي والعقل العربيين.

إن ما قام به، المغفور له عبد العزيز خلوق التمسماني، هو عمل جماعة ومؤسسة، وليس عمل فرد أو اثنين. فقد أصدر معية صديقه المؤرخ محمد الأمين البزاز مجلة " دار النيابة " التي تمثل إرثا ثقيلا ودينا رمزيا هاما، في عنق تاريخ الفكر المغربي المعاصر، وفي سجل مشروع التحديث المغربي. إنه مشروع إعادة كتابة التاريخ، ومشروع إعادة طرح السؤال، والكشف عن الوثائق وعن المسكوت عنه، وعن المغيَّب..

كما أن الرجل ، إلى جانب مجلته، أصدر ما يناهز العشرين مؤلفا، انشغلت جميعها، تقريبا، بتاريخ شمال المغرب المعاصر..فقد اشتغل بشراهة ونهم كبيرين، مضحيا بكل إشراقات الحياة وملذاتها، ومنفقا وقته وعمره، بل أهم مراحل عمره، في سبيل المعرفة والبحث في الحقيقة عن الحقيقة..

ولعل أهم درس نستخصله من مسار الرجل، هو: جرأته، وشجاعته، وزهده في العلم والمعرفة. كما أن من أهم ما نحسبه لهذا المسار الثر، الوعي بضرورة إعادة كتابة التاريخ؛ والوعي بأن التاريخ يظل في حاجة دائمة إلى المراجعة وإعادة الكتابة.. ولعل هذا أحد أهم المداخل التي ينبغي للعقل العربي أن يسلكها؛ إنها الجرأة والشجاعة في إعادة كتابة تاريخ الجماعات والمؤسسات على السواء..

عبد العزيز خلوق التمسماني

مسار مؤرخ

[...] ولقد فاجأني الشاب النابغة الدكتور عبد العزيز التمسماني خلوق بمشروعه هذا الذي هو أكبر من أن يقوم به فرد واحد من الناس، مهما تكن إمكاناته المادية والمعنوية؛ فإصدار مجلة هو أكثر من تأليف كتاب لأن الكتاب ينتهي منه صاحبه وينتهي تعبه، أما المجلة أوالصحيفة فهي تعب دائم وشغل مستمر لا ينتهيان، ولكني وقد عرفت نشاطه في الكتابة والبحث، ولاسيما في هذا المجال، أعني تاريخ المغرب السياسي واستنطاق الوثائق المتعلقة به، لم أستكثر عليه هذه المغامرة،وأيقنت أن همة الشاب وتخصصه في الموضوع، وتعاون المهتمين بالدراسات التاريخية معه للنهوض بهذا المشروع المهم، ستتيح له النجاح في عمله بالقدر الذي يجعل من مجلة دارالنيابة مصدرا يعتمد ومرجعا لا يستغنى عنه في هذا المضمار..

عبد الله گنون

كلمة تقديم العدد الأول ؛

مجلة دار النيابة يناير 1984

حوار مع المؤرخ
عبد العزيز خلوق التمسماني

حاوره: أسامة الزكاري

*** أسامة الزكاري: الأستاذ عبد العزيز خلوق التمسماني، نود أن ننطلق في هذا الحوار من الأصول، بمعنى ظروف الميلاد والنشأة .**

******عبد العزيز خلوق التمسماني: في البداية لا يسعني إلا أن أتقدم إليكم بخالص التشكرات على هذه الاستضافة الكريمة، وأشد على أيديكم بحرارة على ما تبذلونه من مجهودات للتعريف بتاريخ منطقة الشمال، وكذا بنتائج الأعمال التي أنجزها وينجزها باحثون ومؤرخون من أبناء هذه المنطقة. وبالعودة لموضوع سؤالكم، أشير إلى أنني من مواليد سنة 1943 بحي المصلى بطنجة، وبالضبط بطريق رياض بوني، حيث تربيت في بيت عائلة متوسطة بذلت كل ما كان في وسعها حتى مكنتني من تلقي تعليمي الابتدائي والثانوي. فأبي ظل يشجعني كثيرا على المطالعة منذ طفولتي المبكرة، أما أمي، وكان اسمها فاطمة، فلازلت أحفظ في ذاكرتي عنها كل صور التضحية والبذل والعطاء بدون حدود، إذ ظلت تعتني بي كثيرا إلى أن أصبحت راشدا. ولولاها ما وصلت إلى تحقيق ما راكمته في مسيرتي العلمية.

*** إذا توقفنا قليلا عند هذه البيئة العائلية التي احتضنتكم، ما هي التأثيرات التي خلفتها على الفتى عبد العزيز وهو في بداية مساره التعليمي؟**

** لاشك أن التأثير كان كبيرا ليس فقط بالنسبة لمرحلة الصبى، بل كانت له انعكاسات عميقة لازلت أحمل آثارها إلى يومنا هذا. ويكفي أن أشير إلى أن أبي كان عاملا رصاصيا ظل يمارس عمله مع مهاجرين إسبان كانت لهم نزوعات شيوعية واضحة. وأتذكر جيدا أنه كان مدمنا على الإنصات لراديو بسيط كان في ملكيته، فقد ظل حريصا على الاستماع بعد صلاة العشاء إلى "راديو الحرة الإسبانية"، مما سمح له بمواكبة كل ما كان يدور من نقاشات ووقائع بين صفوف أصدقائه العمال الإسبان الشيوعيين. هذا الوضع ساهم في تعزيز شغف والدي بتلقيني ارقى تعليم كان معروفا بين مغاربة مدينة طنجة. وكما تعرفون فقد كانت هناك طريقتان تربويتان اعتمدتا بالمدن المغربية خلال هذه المرحلة، أولاهما تربية عتيقة كانت تلقن في المساجد والزوايا، وجل المغاربة من المتعلمين تلقوا هذا الأسلوب الجاف المنغلق والمخزني الذي كان يساهم في تكريس انغلاق شخصية المتعلم، كما أن آفاقه المعرفية ظلت مستنسخة عن القرون الماضية، والطالب في هذه الحالة، يكرس كل جهوده لاستظهار مضامين جامدة هي خلاصة اجتهادات أسلافه، ولا حق له في التطلع نحو الخلق والابتكار والإبداع، ولا في امتلاك ناصية التفكير المستقل وتطوير القدرات الذهنية وتوسيع آفاق السؤال النقدي الكفيل لوحده بتخصيب الملكات المعرفية للطالب. وفي المقابل بدأت الطريقة الثانية العصرية تنتشر بمدينة طنجة، متأثرة في ذلك بالجو العام الذي كان يسود بالمدينة خلال النصف الأول من القرن 20. لذلك فإن هذه التربية الأوربية المنفتحة تدعو إلى حب العلم، وتكرس طرقا عصرية في تلقينه، تماشيا مع التطورات التاريخية الكبرى التي كانت تعرفها البشرية. فالأمر لم يعد مرتبطا باستحضار متن "الشيخ خليل" عن ظهر قلب والاطمئنان إلى مضامينه والتباري في سرد تفاصيله، حيث يعيد المتلقي إنتاج نفس البضاعة المعرفية المخزنية التي تكرست على امتداد قرون طويلة، ولكن تلقين مبادئ الفكر النقدي المتحرر من كل القيود وغير المؤطر بأية سلط رمزية، والمنفتح على عصره والمتفاعل مع وسطه، ليس فقط في حدوده الوطنية الجغرافية ولكن في أبعاده الإنسانية الواسعة. ولقد انغمست عن طريق أبي -الذي كان أميا- في النهل من هذه الأداة التربوية وذلك بطريقة غير مباشرة. ونتيجة لذلك، فقد أخذت في الابتعاد تدريجيا عن أساليب الثقافة المخزنية الجامدة، وفتحت لنفسي آفاقا واسعة سمحت لي بقراءة عدد هائل من الكتب

الجيدة التي استفدت منها كثيرا. لقد طالعت كثيرا -وبشكل عصامي- روائع المؤلفات العربية والفرنسية والإسبانية في مجالات الفكر والآداب والتاريخ والسياسة. ولازلت أحفظ -إلى يومنا هذا- الكثير من المضامين الإبداعية والفكرية التي أثرت في مسيرتي التعليمية والجامعية، هذه المضامين التي يمكن الوقوف عند تجلياتها في مختلف الأعمال التي نشرتها حتى الآن. ولقد سبق لكم، أنتم شخصيا، أن أبرزتم الكثير من هذه المضامين في دراساتكم التقييمية لأعمالي والتي نشرتموها -مشكورين- على صفحات جريدة "الشمال".

*** لو سمحتم الدكتور عبد العزيز، وقبل أن نعود للحديث عن أعمالكم المنشورة، نود أن نتابع معكم مساركم التعليمي والمهني من بداياته الأولى.**

** بعد نهاية مرحلة التكوين الابتدائي والثانوي بطنجة، انتقلت إلى مدينة مراكش، حيث تم تعييني معلما متدربا في مدرسة المعلمين بالقصبة في هذه المدينة عام 1961، مستفيدا في ذلك من منحة هزيلة نجحت في الحصول عليها. وأذكر أن مدير المدرسة كان الشيخ ياسين الذي ظل خير أستاذ بالنسبة إلي خلال هذه المرحلة الحاسمة في حياتي، خاصة وأنني وجدت نفسي مضطرا لمغادرة مدينة طنجة لأول مرة. هكذا التحقت عند بداية الموسم الدراسي 60-1961 بالقسم الفرنسي بالمدرسة المذكورة، نظرا لأنه لم تكن توجد بمدينة طنجة آنذاك أي مدرسة لتكوين المعلمين. ولازلت أذكر أنني تخرجت متفوقا في القسم الفرنسي، إذ كنت الأول داخل فصلي، في حين كان المؤرخ أحمد التوفيق، وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الحالي، أولا داخل القسم العربي. ولقد كانت لي معه الكثير من الحكايات الممتعة التي تعود إلى هذه المرحلة الحاسمة في تكويني المهني، هذه الحكايات تداولها الأستاذ التوفيق مع مؤرخين كبار في مناسبات متعددة، أذكر من بينهم المرحوم محمد زنيبر والمرحوم محمد حجي والأستاذ إبراهيم بوطالب والأستاذ محمد القبلي. وانطلاقا من ذلك، أمكن القول إن التجربة كانت -بشهادة هؤلاء الأساتذة الكبار-، نموذجا للعمل العصامي في تكوين الذات وفي الارتقاء في مدارج التحصيل والمعرفة، الشيء الذي لا يمكن إلا أن يكون موضع تقدير واحترام أكيدين.

***بعد هذه المرحلة، عدتم إلى مدينة طنجة لبداية تحمل المسؤوليات المهنية. كيف تم ذلك؟**

** بالفعل، فقد أصبحت معلما في مدرسة بني مكادة بطنجة، ثم أستاذا للغة الفرنسية بالسلك الأول، قبل أن ألتحق بمدرسة المعلمين كأستاذ لمادة البيداغوجيا، وذلك عقب حصولي على شهادة الإجازة. وبعد مجهودات كبيرة، نجحت في الحصول على دكتوراة السلك الثالث سنة 1978 من جامعة بوردو، وقد اشتغلت في أطروحتي على قيمة تراث النوازل في التأريخ لتطور اقتصاد الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، اعتمادا على نموذج نوازل البرزلي. هذه الرسالة كانت تحت إشراف أستاذي المرحوم روجي هادي إدريس. وفي سنة 1980، انتقلت للاشتغال على المرحلة التاريخية المعاصرة، وأنجزت أطروحة دكتوراة الدولة بفرنسا، اشتغلت فيها على تطور أوضاع منطقة جبالة عند نهاية القرن 19 ومطلع القرن 20 على ضوء تفاعل الأطماع الإسبانية مع طموحات أحمد الريسوني ومع أزمات المخزن المغربي للفترة المذكورة. وقد أشرف الأستاذ الكبير جان كلود آلان صاحب العمل الممتاز "أكادير 1911" (بالفرنسية) والعديد من الدراسات المنشورة في المجلات المتخصصة في تاريخ المغرب مثلما هو الحال مع "مجلة دار النيابة"، على هذه الأطروحة.

أما بخصوص المسار المهني الجامعي، فقد شرعت في التدريس بكلية أصول الدين بمدينة تطوان، ثم انتقلت بعد ذلك للاشتغال بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، وأنا الآن أستاذ للتعليم العالي داخل شعبة التاريخ بكلية الآداب بتطوان. وبالنسبة لمجموع أعمالي المنشورة، فقد تفضلتم -وكما سبق أن أشرت- بتصنيفها وبالتعريف بها في حلقات على صفحات جريدة "الشمال".

*** لقد كان لنا شرف الاشتغال على هذا الجرد التصنيفي لكتاباتكم العلمية والصحافية ومساهماتكم في الندوات الوطنية والدولية ومساهماتكم في مناقشة الأطروحات الجامعية وكتبكم المطبوعة بالعربية وبالفرنسية وبالإسبانية وبالإنجليزية. إذا تركنا هذا الموضوع جانبا وانتقلنا للحديث عن دوركم في الإشراف على دوريات متخصصة في تاريخ منطقة الشمال. ماذا يمكن أن تقدموا للقراء من**

تفاصيل في هذا الباب؟ ولتكن البداية مع اهتماماتكم العلمية التي وجهت عملكم لتكريس كل هذا الجهد الأكاديمي الذي جعلكم تصبحون من ابرز المؤرخين المغاربة المتخصصين في ماضي منطقتي جبالة والريف.

** لاشك أن هناك ارتباطات عاطفية تجمعني بالمنطقة التي أنتمي إليها. لكن الارتباطات العاطفية تظل غير كافية إذا لم يتم صقلها بالتكوين المستمر والبحث الدؤوب وتنظيم الاشتغال الأكاديمي بأدواته الإجرائية وبآلياته المنهجية. لقد هالني شدة الخصاص الذي ظل يعرفه مجال البحث التاريخي حول المنطقة، ليس بسبب النقص في المادة الوثائقية أو المظان المصدرية، ولكن -أساسا- بسبب ما راكمناه من أحكام خاطئة حول جزئيات تاريخ المنطقة لأسباب متعددة أبرزها تهافت الكتابات الكولونيالية ومحدودية بعض القراءات التقليدية للنصوص الكلاسيكية وغياب الوثيقة الغميسة باعتبارها حجر الزاوية في كل محاولات إعادة كتابة تاريخ المنطقة، وخاصة منه ذاك الذي غطى الفترة المعاصرة من تاريخنا والممتدة من بداية القرن 18 إلى يومنا هذا. لقد فتح الاشتغال على الوثائق إمكانيات هائلة أمام مشاريع إعادة الأمور إلى نصابها عبر تصحيح الأخطاء الجسيمة التي ارتبطت بتاريخنا، وعبر إضاءة نقاط الظلام الكثيف الذي كان يكتنف هذا التاريخ.

* وهل نجحتم في تحقيق هذا المسعى ؟

** للإجابة عن هذا السؤال، أعود لربط الحديث بمضمون السؤال السابق. لقد أصبح مؤكدا أن العمل يتجاوز حدود إمكانيات الفرد الواحد مهما كانت قدراته واتسعت معارفه وتطورت اجتهاداته، ومن هنا جاء التفكير في تنظيم الاشتغال الجماعي عبر إصدار دورية متخصصة أطلقنا عليها اسم " مجلة دار النيابة "، وصدرت أولى أعدادها مع مطلع سنة 1984. وقد نجحت في استقطاب أبرز الباحثين المغاربة والأجانب المتخصصين في تاريخ المغرب، واكتست قيمة اعتبارية متميزة جعلها تنال كل مواقف التقدير والتنويه. ويمكنك أن تستعرض أهم الأسماء التي تناوبت على الكتابة على صفحاتها للحكم على قوة مضامينها وعلى مكانتها العلمية الرفيعة الشيء الذي انتبهتم إليه في تقديمكم لمختلف اعداد " مجلة دار النيابة " في سلسلتكم الرائدة " كتابات في تاريخ منطقة الشمال ". ويمكن ان أعطي

الأمثلة بكل من عبد الله كنون، جرمان عياش، محمد المنوني، إبراهيم بوطالب، محمد الأمين البزاز، رامون لوريدو دياز، جان كلود آلان، عبد الرحيم العطاوي، عبد المجيد القدوري، جاك كاني، سوزان ميلار، عبد الحفيظ حمان، محمد رزوق، امحمد بن عبود، عبد المجيد بن جلون، محمد بكراوي، مصطفى بوشعراء، إبراهيم حركات، إبراهيم القادري بوتشيش...

*** ولماذا توقفت عن الصدور عند العدد رقم 28 سنة 1991؟**

** لعلك تعلم ظروف النشر الثقافي والعلمي ببلادنا، فإصدار "مجلة دار النيابة" كان يتطلب منا جهدا استثنائيا في غياب أي دعم رسمي للمساهمة في التخفيف من العبء. لذلك اصطدمنا بإكراهات مادية حقيقية تكسرت على صخرتها آمالنا في استمرار الصدور الدوري. وفي نفس السياق، يمكن أن نشير إلى وضعية سوق القراءة وتلقي المعرفة ببلادنا مع عزوف المتعلمين عن القراءة وارتفاع معدلات الأمية الثقافية. وحتى لا أطيل عليك في هذا الباب، أؤكد أن "مجلة دار النيابة" قد اضطرت للتوقف لأسباب مادية محضة، وخاصة أن الكل كان يريد أن يقرأها بالمجان...

*** وماذا عن دورية "الطنجيون"؟ هل جاءت لسد الفراغ الذي خلفه توقف صدور الدورية السابقة؟**

** مشروع دورية "الطنجيون" جاء استجابة لضرورة ثقافية مرتبطة بتفاعلنا مع واقع طنجة الحالي وبسعينا لتأسيس منبر متخصص في التوثيق لمختلف المظاهر الحضارية للمدينة، سواء على المستوى المجالي أو البشري أو الثقافي أو السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي. ومع غياب أي دعم رسمي للمشروع، فإن الدورية آخذة في ترسيخ تجربتها داخل حقل الدراسات العلمية التاريخية المتخصصة في التاريخ المحلي، سواء منه المونوغرافي أو القطاعي. والدورية تراهن بالدرجة الأولى على تحسين جودة ما تقدمه للمتلقي القاريء، ثم على دعم القراء والمهتمين. وبالمناسبة، فأنا أحيي فيك جهودك المتواصلة لمواكبة تحليل مضامين دورية "الطنجيون" وتقديمها لعموم المهتمين عبر جرائد وطنية وجهوية.

* هذا أقل واجب يمكن أن نخص به مبادراتكم العلمية والثقافية. من جهة أخرى، وحتى لا أثقل عليكم بالمزيد من الأسئلة احتراما لظروفكم الصحية الصعبة، أود أن أستسمحكم لترك مجال البحث التاريخي الأكاديمي، لأسألكم عن عبد العزيز خلوق التمسماني الإنسان والأب.

** علاقتي بأسرتي كلها احترام، وقد ورثت ذلك عن والدي. أنا متزوج من حفيظة الحسناوي التي تشتغل أستاذة لمادة الرياضيات، ولي أربعة أبناء، أولهم عادل الذي يتابع دراسة الهندسة بمدريد، ثم ياسين المتخرج من المدرسة المحمدية للمهندسين بالرباط، وسناء المتخرجة من كلية العلوم بتطوان، وأخيرا عثمان الذي لا يزال تلميذا في شعبة المحاسبة بالتعليم الثانوي بمدينة طنجة.

أجرى الحوار، في فاتح يوليوز 2004

صدر للمؤرخ عن منشورات
سليكي إخوان
(2000-1995)

.

- بحوث ونصوص حول تاريخ المغرب المعاصر، طنجة.1996.
- حفريات في تاريخ المغرب المعاصر، طنجة.1996.
- Pays jbala: Makhzen, Espagne et Ahmed Raissouni, Tanger (1ere édition).1995.
- Pays jbala: Makhzen, Espagne et Ahmed Raissouni, Tanger (2ème édition).1996.
- Contribution à l'étude de la vie économique musulman médièval. 1996
- ملامح من تاريخ طنجة المعاصر (1792-1947)، طنجة. 1996.
- جوانب من تاريخ جبالة المعاصر: القائد أحمد الريسوني وإسبانيا.
- دراسات في تاريخ شمال المغرب المعاصر، طنجة. 1996.
- بحوث ونصوص حول تاريخ المغرب المعاصر، طنجة.1996.
- مقالات ووثائق حول تاريخ المغرب المعاصر، طنجة.1997.
- تقديم ونشر كتاب "رحلة الجلالة المحمدية إلى طنجة عاصمتها الديبلوماسية" لمؤلفه أحمد بن محمد الكردودي الكلالي، طنجة.1997
- الحركة الريسونية من خلال الوثائق المغربية، جزآن، طنجة.1997.
- العلاقات الإسبانية المغربية في نهاية القرن 19 من خلال الأرشيف الديبلوماسي (1884-1898)، المحمدية.1997.

- تأملات في تاريخ المغرب المعاصر من خلال التقاييد والوثائق، طنجة.1998.
- تقديم ونشر كتاب: الرحلة الطنجوية المزوجة بالمناسك المالكية، للحسن ابن محمد الغسال، طنجة 1998
- طنجة الدولية من خلال الوثائق (دراسة) بدعم من وزارة الثقافة (لم يكتب له النشر) (2000).

الشعر في خدمة الانتفاضات التحريرية الشعبية

* عبد العزيز خلوق التمسماني

[هذا نص التقديم الذي كتبه المرحوم لكتاب الشاعر أحمد الطريبق]

إن عمل د.أحمد الطريبق أحمد عميق الأغوار الإبداعية الفلسفية. يوظف قراءاته المتعددة ليبرز جديته وذكاءه وعصاميته وطبيعته الصوفية المتفائلة التي صاحبتني منذ مراهقتي، لأن لي معه خواطر بصفتنا أنني وإياه ابني حي المصلى الطنجي المجاهد المغمور -تاريخيا- قبل رحيل الإدارة الدولية.

إن هذا المؤلف أصيل، لن يجد المطلع عليه صعوبة في مضامينه، فهو يتسم بالفصحى المتينة ولغة الضاد الحديثة المتداولة في صحافة اليوم:

كان د.أحمد الموهوب يلتهم الكتب كالمرحوم عبد الله كنون، ويتذوق بحدسه أجملها، فكرا ولغة، فهو الشاعر النابغ والباحث الموسوعي الجامعي.

يتميز أسلوب هذا الأديب البارع النثري بالنصاعة والوضوح، لأنه يستند في تحليلاته العميقة إلى المصادر الغميسة والمراجع الغربية المعربة المضمون، لها صلة بالعتاقة المغربية المحافظة والروح القلقة الجديدة المتحررة.

يركز د.أحمد الطريبق على ثلاثة محاور جوهرية:

1- عمق تجربة الشعراء الذين لاحقهم شبح الموت في درب النضال، وهم في ريعان الفتوة وعمر الزهور.

2- الانتفاضة الإبداعية في أدب الشابي: إرادة الحياة.

3- رسالة الشاعر المغربي مصطفى المعداوي: إرادة الوطن.

بخصوص المحور الأول، فإن الباحث يقوم بجولة في النصوص المعربة لشعراء بلغار وسوفيات ثوريين، اختطفهم يد المنون. غنوا بالكلمة المناضلة، استنهضوا شعوبهم، ملهمين في نفوسها مقاومة الاستعباد والاستغلال الاستعماريين، كانوا جنود التحرير وشهداء الحرية في ساحة الوغى، ورحلوا في سن مبكرة. قام الأستاذ المقتدر بإطلالة عابرة على متونهم المعربة، المعبرة بصدق عن رؤاهم وأحلامهم وتطلعاتهم التي تحمل خطاب التآخي.

أما المحور الثاني: فيقف صاحب هذا العمل وقفة طويلة عند المبدع الثائر التونسي الشابي الشاعر الخلاق، أول شاعر حديث في المغرب العربي، ذي الاتجاه الثوري الذي ناضل بقلمه من أجل الحرية عبر ديوانه "أغاني الحياة" وبنقده العنيف لرجعية أدباء عصره وقيمهم التقليدية، وبمواجهة الصريحة للأخطبوط الرأسمالي الأوربي الماكر، المتمثل -حسب المؤلف- في "[...] الغرب المستعمر، الغرب المستحوذ، الغرب الموجه، الغرب المستفيد[...]".

يهتم المحور الثالث المطول بتجربة المثقف الملتزم مصطفى المعداوي في الشعر الوطني من خلال ديوانه الذي جمع بعد وفاته.

استفاض هذا الأستاذ الجامعي في الحديث عن رسالته الشعرية التي تغنت بانتفاضة شعوب إفريقيا الطموحة الوثابة، أرض المعذبين المستضعفين ، المغلوبين، المقهورين.

أخذ الطريبق على عاتقه، في الوقت نفسه بلورة ثورة أبناء الجزائر الأشاوس، رمز البراعم الحالمة لبناء المستقبل الزاهر.

إن كتاب عزيزي أحمد مثير للتأمل الوجداني المتعمق لأن المغرب العربي كان يرزح -في خمسينات القرن العشريني- تحت نير الحجر والعبودية الاستغلالية والإرهاب الفكري الفرنسي، وبالتالي فإن صاحبنا أجاب عن أسئلة كثيرة.

يذكرني سي أحمد بالمجاهد المصلح محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي زعزع دعائم سيطرة الاحتلاليين الإسباني والفرنسي في المغرب، وأثار -في وقته- اهتمام الحركة الشيوعية العالمية وخلاياها في الشرق التي كانت تبحث عن طريقها

الاستقلالي -من خلال الملحمة الريفية- التي أبدت تقديرها للأمير الريفي الذي بعث فيها الآمال في هذا السياق، كتب المؤرخ جرمان عياش:

"[...] نعرف أن الرئيس ماوتسي تونغ كان في السنوات الأخيرة قد كاشف بمكنون صدره وفودا عربية، مصرحا باختصار: فيما قدومكم لتلقي الدروس في الصين، طالما وأن لكم في عبد الكريم الأستاذ الذي تتلمذنا نحن الصينيين على يديه؟[...]" *.

* أصول حرب الريف؛ ترجمة: د.محمد الأمين البزاز. د.عبد العزيز خلوق التمسماني. ص.9.

" طنجة الفساد " " طنجة الكابوس "

* عبد العزيز خلوق التمسماني

كثرت الأحاديث في الآونة الأخيرة عن طنجة المتردية، المرعبة، المترهلة، الحزينة. تبكي بدموع غزيرة، تستغيث مستصرخة من الاستخفاف بمصالحها.

لم تجد المدينة من يدافع عن قضاياها منذ ستينات القرن الماضي: سقطت تحت وطأة السماسرة الأخسَّة والمهرولين المتهافتين على تقلد مناصب السلطة والنفوذ.

أصبح رصيدها الفكري المتراكم مفقودا، تحفها الفنية والتشكيلية غير موجودة، تراثها الحضاري منهوبا، مآثرها التاريخية مدمرة؛ أي محنة مدينة عريقة تفتقر إلى وثائق تبرز تاريخها الحضري في عهد الإدارة الدولية. أستحضر مقالات المجاهد محمد اليزيدي الاجتماعية المتمحورة حول التنظيم البلدي الاستعماري في المدن المغربية، مستندا فيها إلى أرشيفه المحفوظ.

السؤال المطروح: هل من المعقول أن تكون طنجة، العاصمة الدبلوماسية سابقا، بدون متحف تاريخي يحفظ مستنداتها الضخمة وملفاتها وربائدها الوثائقية التي تزخر بها الأرشيفات الأوربية والأمريكية، لاسيما في الفترة القريبة؟

في خريف عمري أصب جام غضبي على مجالس طنجة البلدية السابقة التي انزلقت عن أهدافها الحقيقية، موجها إلى أعضائها أصابع الاتهامات لأنهم أعطوا الضربة القاضية لساكنتها التي أصبحت كبش فداء لسوء التدبير، والتسيير، والتجهيز، والعشوائية، والجهل بتاريخها البلدي ومنظومته القانونية الغنية المنظمة

لمجالات المدينة المعمارية، المترتبة على الاعتبارات الجمالية والذوقية الرفيعة.

ما هي النتيجة؟ يقف رجل الشارع الطنجي مكتوف اليدين أمام صانعي "طنجة الفساد" "طنجة الكابوس": انهارت آماله العريضة بعد أن أناخ الخبث بكلكله عليه، وتضخمت الجوائح الكارثية العقارية والمعمارية وملفاتها السوداء التي تفوح منها رائحة الخسة، والشماتة، والريبة، والرداءة، المعبرة عن الألاعيب والمناورات النرجسية الضاغطة، والوقاحة الصارخة، بكلمة ينطبق عليها عنوان مقالة المناضل بالقلم عبد الجبار السحيمي "إمبراطورية الفساد تتحرك". كذلك، فإن من يتابع، باستمرار، ما يكتب اليوم عن جماعات طنجة الثلاث (طنجة المدينة، الشرف، بني مكادة) يشعر بإهانة الفئات الفقيرة والوسطى وحقوقهم العادلة في العيش الكريم المهضومة.

ما السبب؟ الجواب بسيط: استشراء ظاهرة التلاعب، والرشوة، والارتماء على المال العام، والابتزاز، والسطو على الفضاءات الخضراء.

من المسؤول؟ عقلية المفسدين ذوي الآثام أي ليس لهم ضمير أخلاقي، ولاقيم المروءة والنبل والشهامة، جعلا من طنجة مدينة العبث والفوضى الشاملة، والنصب والغش، متصرفين تصرفا خارج قوانين الدولة المغربية. في السياق ذاته، يقول الأستاذ عبد الكريم غلاب: «[...] كثرت الاتهامات والمحاكمات عن التصرف غير المشروع في أموال الجماعات المحلية[...]»، مشيرا في نفس الزاوية مع الشعب إلى:[...] «التسيب" في استعمال أموال الدولة وأموال الجماعات بكل ما تفيده كلمة: التسيب"[..]».

باختصار، تعيش طنجة سنواتها العجاف، المتمثلة في وضعية الفقر المدقع لأبنائها المسحوقين الطيبين لأن «نوابغ» الفساد زرعوا في نفوسهم اليأس والحسرة والإحباط، جاعلين مشاهد وسطهم الحضري وشواطئهم مأساوية.

* نقلا عن كتاب: د.عبد العزيز خلوق التمسماني؛ تدبير المرافق الجماعية. طنجة 2001.

مقتطفات

«ذاق الطنجيون طعم المرارة والهم والغم والتذمر، فأصبحوا خائبي الآمال، محطمي الأحلام، موجهي أصابع الاتهام للمجالس البلدية السابقة ولجماعات طنجة الثلاث الحالية العقيمة. وهنا، تنطبق على طنجة مصطلحات د.المهدي المنجرة الجديدة التي لم أعثر عليها في القواميس والمعاجم العربية الحديثة الجهلقراطية، الفقرقراطية، التخلفقراطية، والذلقراطية».

عبد العزيز خلوق التمسماني؛ من طنجة الساحرة إلى طنجة العفنة. طنجة 2001

«قبل التوقيع على معاهدة 18 دجنبر 1923 أي معاهدة "التدويل" كانت طنجة قطعت أشواطا طويلة في هذه المسيرة التي فرضتها عليها الدول الأجنبية. وإذا كان المخزن وقف لها بالمرصاد بإحداث "دار النيابة السعيدة" لتكون سدا منيعا ضد تسرب أوربا الرأسمالية، إلا أنها أتت بنتائج عكسية وباءت محاولاتها بالفشل أمام الأساليب الميكيفيلية التي كان يلجأ إليها ممثلوها، فاتحين الباب لنوافذ جاليات أجنبية كثيفة على المدينة تمتعت بامتيازات واسعة كـ"نظام الحماية القنصلية"».

الطنجيون؛ العدد الرابع. 2002

«عصامية محمد شكري

[...]تذكرت الصورة القاتمة التي رسمها محمد شكري، الكاتب الجاد والقاص الموهوب لجحافل المهاجرين الريفيين إلى تطوان وطنجة في أعماله الروائية. وبالصدفة، كنت، حين كتابة هذا المقال، منهمكا في مطالعة إنتاجه الجديد وهو بعنوان "وجوه". وجدت في هذا الجزء الثالث الجميل من رحلته الذاتية أجواء طنجة كما عاشها هذا الأديب العصامي المرموق. عبر بصدق عن قلقه. قال كلمته الصريحة. لن أقف عند وجوهه المتمثلة في فاطي الساقية وبابا دادي وحمادي القمار في مدينة شكري العجائبية، فلست ناقدا أدبيا».

عبد العزيز خلوق التمسماني؛ من طنجة الساحرة إلى طنجة العفنة. طنجة 2001

«تستأنف "مجلة دارالنيابة" الوثائقية عملها تحت اسم "الطنجيون". ستكون فصلية تعنى بقضايا طنجة تاريخيا، فكريا، اقتصاديا، اجتماعيا، ديمغرافيا، ومعماريا عبر تاريخها القديم، الوسيط، الحديث والمعاصر، مهتمة بعطاءات فقهائها»

افتتاحية العدد الأول من مجلة الطنجيون. شتاء 2002

«مرت تسعون سنة على تشييد هذا المسرح [سرفانتيس] (12 دجنبر 1913) بعد وضع حجره الأساسي في 02أبريل 1911.

بنته أسرة بورجوازية إسبانية استقرت في طنجة منذ 1805. أحدثه الزوجان مانويل بينيا و إصبرنثا أوريانا. قام بتصميمه المهندس المعماري دييغو خيميني. وأنجز خشبته خوصي دي لاروصا. وزينه الرسام فدريكو ريبيرا الذي تم استقدامه من باريس.

يتضح، من خلال استنطاق الأرشيف المخزني الطنجي، أن مشاهير رجال الدولة المغربية كانوا حاضرين يوم تدشين هذا العمل الباهر، منهم: - الحاج المقري، الحاج عبد السلام بن عبد الصادق، علي زكي، المحتسب أبارودي، القاضي العربي التمسماني.

حاليا (2003) تعتبر طلاسم هذه الجوهرة مأساة. إنه الحداد القاتل: أمامه بناء قاحل عوض البساتين الخضراء.

لست مؤرخا مسرحيا ولا باحثا مسرحيا ولا ناقدا سينمائيا لأتحدث عن أنشطته المسرحية لأنه كان وسيلة الاتصال بالطنجيين المغاربة والأجانب في عهد النظام الدولي المقيت: قدم فيضا زاخرا بالمسرحيات.

ختاما، عار وألف عار سكوت الأهالي والمؤسسات المدنية البيئية الطنجية أن يبقى البناء الجهم أمام هذه المعلمة الثقافية».

افتتاحية العدد الثامن. مجلة الطنجيون. خريف 2003

.

« اهتم علماء طنجة بالمسرحيات التي استمدت أصولها من التراث النابعة من الثقافة الإسلامية واستلهمت شخصياتها البطولية من التاريخ العربي.

أثار هذا الفن المسرحي الكثير من الجدل من المنظور الديني والتفسير التشريعي: تمحورت الفتاوي حول المسرح الإسلامي واشتدت على الأدب المسرحي. يمكن تلخيصها على النحو التالي:

1- فتوى الشيخ أحمد بن الصديق (1901-1960)

قال الإمام الحافظ الشيخ أحمد بن الصديق في مخطوطه "جؤنة العطار في طرف الفوائد ونوادر الأخبار":

[...] بلغ الجهل والفجور بأهل طنجة إلى أن أقاموا مرة حفلة تمثيل اقتداء بما اخترعه الفرنج من ذلك، إلا أنهم لم يجدوا من يمثلونه إلا الله تعالى وملائكته الكرام![...]

استنتج الشيخ أحمد بن الصديق أن التمثيل "أهم عامل في فساد أخلاق الشباب من الذكور والإناث، بل وفي نشر الكفر والإلحاد والمروق من الدين، وتعلم الفجور وطرق الاحتيال والنصب والسرقة وغير ذلك من الأخلاق الفاسدة التي انتشرت بين المسلمين فإنه لا سبب لذلك وللكفر والإلحاد بينهم إلا من طريق التمثيل".

2- فتوى الشيخ عبد الله بن الصديق (1910-1993)

ذكر الشيخ عبد الله بن الصديق في مؤلفه "إزالة الالتباس عما أخطأ فيه كثير من الناس"، جوابا على نازلة موضوعها: هل يجوز تمثيل الأنبياء والملائكة الصحابة؟

"التمثيل يشتمل على مفاسد تقتضي تحريمه وإنكاره". يقدم الدلائل:

- "هو جملة الملاهي التي غزوا (الأوربيون) بها بلادنا".

- "إن التمثيل لهو، كالسينما وغيرها، وكل لهو باطل يحرم الاشتغلال به، لأنه عبث لا يليق".

- "إن التمثيل مبني على الكذب"

- أورد الشيخ في مقال نشره في أبريل 1937 في "مجلة الإسلام" القاهرية تحت عنوان "ماذا في طنجة"؟:

"هناك في طنجة - رهط تعطلوا من جميع الأعمال، وتعلقوا بفارغ الآمال، ضعفاء العقول، سفهاء الأحلام". [...]»

افتتاحية العدد الثالث. مجلة الطنجيون. صيف 2002

«الدكتور عبد العزيز خلوق التمسماني رحمه الله، كان صاحب إرادة قوية وعصامية صلبة. كان أستاذا كبيرا ومؤرخا متمكنا، وباحثا فذا أغنى المعرفة التاريخية وحل شمال المغرب»

د.مصطفى الغاشي

شهادات

مجلة دار النيابة

* امحمد بنعبود

لقد رحب الباحثون المغاربة المهتمون بالعلوم الاجتماعية عامة والمؤرخون منهم خاصة بصدور «مجلة دار النيابة» بطنجة منذ أربع سنوات لأن ظهور هذا المشروع كان يعني ملء فراغ ثقافي عام في مجال البحث التاريخي المغربي. واستطاعت هذه المجلة منذ ظهورها أن تحافظ على سمعة طيبة. ويعكس نشر هذه المجلة التاريخية المتخصصة وعيا مشتركا بحقيقة تتجلى في النقص الذي كانت تعاني منه المجلات التاريخية الموجودة آنذاك، ولقد عبر مؤرخان نشيطان وهما الدكتور عبد العزيز التمسماني خلوق والأستاذ محمد الأمين البزاز عن هذا الوعي عمليا بتأسيسهما هذه المجلة التاريخية الحرة. فعلا، إن «مجلة دار النيابة» تتميز عن غيرها من المجلات الصادرة بالمغرب بكونها لا تصدر عن مؤسسة رسمية. إنها أكثر تخصصا من غيرها من مجلات المغربية المهتمة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية لكونها تركز على القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من التاريخ المغربي. وتتفرد عن غيرها من المجلات التاريخية المغربية بكونها متعددة اللغات إذ ينشر جلها بالعربية إلا أنها تحتوي أيضا على قسم يضم مقالات بالإسبانية والفرنسية والإيطالية. وإن صدور هذه الافتتاحية بالعربية والإنجليزية لدليل على استعداد هذه المجلة لقبول مقالات بلغات أوربية أخرى، ويعكس تعدد اللغات في هذه المجلة التفتح الذي تتميز به. وهناك خاصة أخرى تنفرد بها «مجلة دار النيابة» وهي الانضباط في صدورها. إنها دورية بكل ما في الكلمة من دلالة. ويعد الانضباط في نشرها علامة صحية تشير إلى استمراريتها مستقبلا. إن الصعوبات المالية التي تمكن المسؤولان عن هذه المجلة الجيدة من تجاوزها تعتبر خير مؤشر على مصداقيتها وضمانة قدر صالح من الحرية في الرأي والتعبير، علاوة على شملها اتجاهات تاريخية متنوعة.

[...] إن المسؤولية تقع على عاتق المؤرخين المغاربة، والشباب منهم على وجه الخصوص، ليساهموا في إنجاح المشروع لأن طاقة الإنتاج والتجديد والإبداع تتطلب العمل الجاد والحركية والمناهج الجديدة والأفكار الأصيلة، أما التجربة فتأتي في وقت لاحق.

دار النيابة؛ افتتاحية العدد 14. ربيع 1987

من صدى الذكرى

* عبد اللطيف شهبون

منذ ما يزيد عن ثلاثة عقود.. وخلال ترددي على منزل صديقي أحمد الطريبق اليدري بحي المصلى تعرفت إلى المرحوم عبد العزيز خلوق التمسماني.. وصوب ذلك المنزل العتيق كنا نعدو على رؤوسنا مائة مرة لنشرب كؤوس الشاي المنعنع..والطواف بمكتبته مئات المرات. كان منزل السي أحمد بستانا بحث ونوالا بحق..فما أعجبه؟

كان المرحوم عبد العزيز خلوق التمسماني قريبا من السي أحمد كحبل الوريد، وقد وطد علاقته الإنسانية والعلمية به..ثم بالفقيد محمد الخمار الكنوني بفاس يوم كان يحضر إجازته في الأدب العربي وظلا مسلوبي النفس أمام حب الدراسة والتحصيل، تمكين بالاجتهاد لا يثنيهما شيء عن ذلك.. فازداد افتتانهما وترقبا.. في الثمانينيات اقتربت أكثر من شخصية المرحوم عبد العزيز خلوق التمسماني..كنت ألتقي به كل يوم وهو يرافق نجله ياسين إلى مدرسة الهدى. كان ياسين حسن روحه.. وفي كل مرة أراه.. يسألني عن ابني بسام، حاله الصحي ومساره الدراسي..

تتالت الأعوام فلم نعد نلتقي إلا لماما.. وكما عودني دائما.. كان يخبرني أن صاحبي (يقصد نجله ياسين) متفوق في دراسته.. ثم أحسه منتشيا محدثا إياي عن عمر مديد وسعادة ممتدة.. منحيا عن نفسه، ولو إلى بعض حين أحزانه الخرافية..

لم يكن للمرحوم مع الفرح موافقة ظاهرة.. لكنه كان دائم السعادة ذائبا في

معناها.. له معها موافقات باطنة ممثلة في أنجاله.

رحل عنا د.عبد العزيز تاركا ذكر حسنا.. وهو المهووس بحب طنجة لا يظاهيه في ذلك غيره بعدما كرس لها زهرة عمره درسا وتحقيقا تاريخيين..

ومجلة دار النيابة خير شاهد.. فضلا عن أبحاث جمة حمل د.عبد العزيز نفسه إلى أصله السعيد مديرا ظهره لوجود فان.

تغمدك الله بالرحمات، فالعزاء والصبر لأسرته الكريمة..وإنا لله وإنا إليه راجعون.

*نقلا عن الشمال. العدد 430. فاتح يوليوز 2008

هادم الأكاذيب

* د.زبيدة الورياغلي

لن أتحدث عن الدكتور عبد العزيز خلوق التمسماني، كواحد من أبرز المؤرخين المغاربة المعاصرين والمهمين بتاريخ منطقة الشمال، ولا عن ريادته وطول باعه في مجاله البث التاريخي بالمغرب وإسهاماته في الحفاظ على الذاكرة التاريخية للمنطقة وتوثيقه للأحداث التي عرفها، ولا عن قيمة رصيده العلمي الغزير الذي بوأه مكانة متميزة بين مؤرخي عصره، ولا عن محاولاته في تجديد مدرسة البحث التاريخي وتغييره أساليب التقليدية بالاعتماد على استنطاق الوثائق الغميسة والمستندات والأرشيفات بحثا عن الحقيقة التاريخية، فكتب له بهذا النجاح في مهمته التي نذر حياته من أجلها، وذلك بامتلاكه لأدوات البحث العلمي العصرية، ولثقافته الموسوعية، ولتواصله مع المصادر الأجنبية بلغاتها، وهو بعمله هذا يكون قد أعاد الحياة لتاريخ منطقة الشمال، وبالأخص مدينة طنجة التي نسجت حولها الأكاذيب والأساطير، محاولا بذلك خلق حراك في المشهد الثقافي والفكري بالمدينة التي غُيِّب فيها الفكر طويلا، وتم وأد الفضاءات الثقافية بها على مرأى ومسمع ممن لا يهمهم أمرها، فهو في مسار بحثه عن الحقيقة التاريخية كان هدفه رد الاعتبار للرموز والأبطال الحقيقيين للمنطقة والكشف عن عورات ماسحي أحذية التاريخ المتعلقين بكاريزمات وهمية صنعوا منها أصناما عبدوها.

لا أرى ضرورة في متابعة الحديث عن المؤرخ والأكاديمي الكبير الذي أصبح علامة بارزة في تاريخ رجالات هذا الوطن، وأترك هذه المهمة لأعماله لتتحدث عنه بلغاتها، فقد تجاوزت شهرته جغرافية الوطن ق حملتها أمواج البحر الأبيض المتوسط نحو الضفة المجاورة، فحصلت أعماله على صك الاعتراف من الآخر.

ولأنني على يقين تام من أن المهتمين بمجالات البحث التاريخي سوف يبذلون قصارى جهدهم للكشف عن مساحات امتداد فكره ومدرسته التاريخية.

أوقفوا زعيقكم أيها البؤساء...*

عبد العزيز خلوق التمسماني لن يكون للبيع

* خالد سليكي

عزاؤنا واحد في فقيدنا المؤرخ المغربي الشامخ، في حياته ومماته، عبد العزيز خلوق التمسماني الذي جمعتني به علاقة جد استثنائية، في زمن استثنائي، وفي واقع شاذ ومدينة جاحدة بأناسها..

أرخت البدايات الفعلية لمؤسسة سليكي إخوان للنشر باسمين كبيرين، الأول هو محمد عز الدين التازي، حين طرق باب بيتي بطنجة وهو يسأل عني ذات ربيع من العام 1994. وكنت دخلت عالم الطباعة من باب الهواية للتغلب على مصاعب الحياة وتكاليف الدراسات العليا.. وبعدها في خريف السنة الموالية طرق باب مكتبي صديق كان يعمل في مجال الترجمة، ورفقته رجل كهل يتأبط ملفا أزرق اللون.. لقد كان عبد العزيز خلوق التمساني المؤرخ الذي كنت أقرأ كتاباته على صفحات العلم.. وهو الرجل الذي كنت أتعلم منه صناعة الفهم التاريخي للواقع، بما يصدره على صفحات مجلته «دار النيابة» يوم كان أحد الأصدقاء يسرق أعدادا من المكتبة الفرنسية ويبيعها في فاس كي يتغلب على مصاريف الدراسة..

رافقت المرحوم لسنوات، وصارت علاقتي به نسيجا من الصداقة والمحبة، والأبوة، والتلمذة.. صديقا يحكي لي أسراره، وأحكي له أسراري، نعتكف على تصفيف وترتيب وتصحيح ما كان يأتي به للنشر..وبحركيته ذات الإيقاع العالي، كنا في وقت وجيز نخطط، ونبرمج، ونتحدث عن كل التفاصيل..هكذا نشر البحاثة عبد العزيز ما يزيد على العشرة كتب في ظرف وجيز بإيقاع قل نظيره، كأنه كان يسابق الزمن، منقبا في أرشيفه وجامعا مسوداته وما نشره على صفحات العلم

ودار النيابة..

وأذكر يوم انتخب رئيسا لشعبة التاريخ في كلية آداب الرباط، كيف كان منتشيا بذلك الاعتراف الذي توج مساره المهني والأكاديمي، وجاءني مزهوا يناقشني في مشروع استئناف نشر «دار النيابة»، وكنا بدأنا التفكير جديا في الجوانب المالية لإصدارها، مادام أن الدراسات والبحوث كانت متوفرة..

غير أن صدف العالم هي قانونه، وهي التي تتحكم في كل مجريات الأحداث..فحدث أن انتقل إلى آداب تطوان، ليدخل في صمته الغريب، ويفقد نشوته التي كنا نتقاسم بعضا من إشراقاتها في منزله بزنقة كوك المطلة على بحر طنجة، الذي كان مايزال يحتفظ حينها ببعض نضارته.. وفي لج هذا الصمت استضفته ذات خريف من العام 2000 في بيتي، تناقشنا في كل التفاصيل، ودعا لزوجتي التي كانت حاملا، وابتسم حين أخبرته بأن الجنين ذكر..وقال لنا «سيشبهك الولد لامحالة..» وابتسم ثم تناقشنا حول عمل اقترحته على وزارة الثقافة للدعم، وكان يحتوي على وثائق من تاريخ طنجة الدولية..

لم أكن أعلم أن ذلك اللقاء هو آخر ما سيجمعنا.. كان وداعه الأخير، وبعدها دخل في صمت إلى أن فوجئت بإصدار مجلته «الطنجيون» وتفادى أن يحييني ذات صباح في ساحة سور المعجازين..وبقي سر قطيعته معه حتى الآن..

فقط أدركت أن البؤساء الذين يلتهمون قلوب الناس قد أحرقوا صدره بنيرانهم.. فقد قال لي شكري: ذات يوم جاءه رجل طويل القامة ملتحي الوحه «كم هي تكاليف التصفيف التي تؤديها للناشر سليكي» رد عليه: «وما دخلك في المسألة..!؟».. ربما هكذا كانت الحكاية مع المرحوم الرائع عبد العزيز..

ظل تقديري للرجل هو هو.. لم يتغير، ولم أكن أزداد إلا تعلقا به.. رجل شامخ..ودود.. صامت..عالم..راهب، زاهد في العلم.. يتأبط قفة ملأى بالكتب..لكنه يمر بجانبي دون أن نتعانق كعادتنا..وتشاء الظروف أن يؤلف صديقي المؤرخ أسامة الزكاري كتابا عن " الدكتور عبد العزيز خلوق التمسماني: مسار مؤرخ وإشعاع سيرة ذهنية " فتحمس أخي كريم لنشر العمل.. وبادرنا في المركز المتوسطي للدراسات والأبحاث بتنظيم تكريم للبحاثة عبد العزيز خلوق في 26 ماي 2007 وساهم فيه مؤرخون، وشرفتنا ابنته المصونة بالحضور.. وكانت تلك لحظة أخرى

للتأمل في مسار الرجل، وعاد مرة أخرى إلى مؤسستنا، منشرحا مبتسما لأخذ نسخ من الكتاب الذي ألف حول أعماله..

لكنني لم ألتق به ..وظل الصمت بيننا.. وأبلغني تحياته وتقديره..

لن أقول عن الرجل أنه كان نبيلا وعالما وفقيها.. لأنه أكبر من ذلك، وأنبل من ذلك، وأعظم من ذلك.. ولكنني أقول، إن الذين سيفكرون في تأسيس جمعيات باسمه، بمناسبة موته، وتنظيم لقاءات في الأربيعية أولى لهم أن يصمتوا وأن يجلسوا في مقاهيهم يثرثرون وينعقون، وأن لا يلوثوا الصفحات البيضاء بخردتهم وذاكرتهم.. أولئك الذين دفعوا به نحو الهاوية الساحقة....

فعبد العزيز خلوق التمسماني لم يمت... والذي مات هم أولئك الذين تناسوه في اللحظات التي كان يحتاج فيها لمن يخرجه من جراح صمته..

رحم الله حفاري قبور العظماء، أما النبلاء من طينة عبد العزيز وشكري، فإنهم لايغادرون الحياة إلا بعد أن يملأوها بأرواحهم العظيمة..

* نشر هذا المقال في صحيفة "المساء" بعد ثلاثة أيام من رحيل الفقيد.

المؤرخ عبد العزيز خلوق التمسماني كما عرفته

* د. مصطفى المرون

مؤرخ مختص في التاريخ العسكري.

تعرفت إلي المرحوم الدكتور عبد العزيز خلوق التمسماني بشكل غير مباشر خلال ثمانينيات القرن الماضي من خلال كتاباته القيمة حول تاريخ منطقة شمال المغرب، حينما اعتمدته كمرجع أساسي في بحث إجازتي حول موضوع تطوان خلال الحماية الإسبانية. أما معرفتي الشخصية به المباشرة، فقد كانت خلال أوائل تسعينيات القرن الماضي عندما تعين أستاذ بشعبة التاريخ المعاصر بكلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط عوض أستاذنا المؤرخ الكبير المرحوم جرمان عياش، و كانت المناسبة إعدادي لأطروحة الدكتوراه بجامعة غرناطة حول مشاركة الجنود المغاربة في الحرب الأهلية الإسبانية، حيث كانت توجيهاته نبراسا أفادني في تلمس الطريق الصحيح. و قد توطدت علاقتي بالمرحوم، حين قيامه بجولة إلى مدينة غرناطة لتقديم ترجمة كتابه حول الريسوني، لتستمر من خلال تعيينه باللجنة التي أشرفت على معادلة شهادة دكتوراتي، بحيث مكنته من الاطلاع على مضمونها، و نشره شهادته حولها، و التي أعتز بها أيما اعتزاز، بصحف وطنية و جهوية. و قد ازداد توطد العلاقة بيننا عندما أسس مجلة الطنجيون، حيث طلب مني المساهمة فيها، و بالفعل كان لي شرف نشر مجموعة من المقالات بها.

أيها السادة الأساتذة و الحضور الكرام.

أستغل هذه المناسبة لكي أتكلم عن الدكتور المؤرخ عبد العزيز خلوق التمسماني الشخص و ليس الأكاديمي المؤرخ صاحب مدرسة تاريخية وطنية تخرج عنها ثلة من المؤرخين المغاربة المعاصرين، لأن زملائي في المجال قد أفاضوا و استفاضوا في ذكرها. فخلال معاشرتي للمرحوم و لقاءاتي المتعددة معه، كان دائما يحمل غصة في داخله لما آل إليه وضع البحث التاريخي بالمغرب، حيث كان يشتكي لي من تردي عمل المؤسسات الأكاديمية المغربية الفاعلة في المجال، و كذا إساءة بعض الدخلاء إلى تاريخ المغرب بكتاباتهم الرديئة. في نفس السياق، كانت الخاصية الأساسية للمرحوم التي تميز بها عن باقي زملاء المهنة هو صراحته الشفافة التي ترقى إلى النقد الجارح، حيث لم يكن يخشى في ذلك لومة لائم، و لا أي شخص صغر أو كبر شأنه، و لو كان عميدا لكلية يشتغل بها، أو طالبا يشرف هو بنفسه على أطروحته، حيث كان ينشر كل أطوار مناقشاته بالمجلات و الصحف الوطنية و الجهوية، و هذا ما جعله يدفع ثمنا غاليا، حين تعرض لاعتداء شنيع لم تعرف أسبابه لغاية الساعة، و هو الاعتداء الذي ساهم في مرضه و إبعاده عن الكتابة، ثم اعتكافه بمنزله إلى غاية يوم وفاته.

رحم الله الفقيد و أسكنه فسيح جنانه مع العليين و الشهداء و الصالحين.
عزاؤنا واحد في هذا المصاب الجلل الذي أصاب البحث التاريخي بالمغرب.
إنا لله و إن إليه راجعون.

المركز المتوسطي
للدراسات والأبحاث

جمعية أجيال طنجة
للتنمية والثقافة

عبد العزيز خلوق التمسماني

ذاكرة مؤرخ

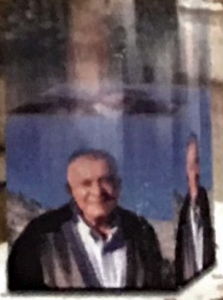

دار الثقافة - السبت 2 غشت 2008 - على الساعة 7 مساء